

الحِصَاةُ وَالْمَاسَةُ

سَقَطَتْ مَاسَةٌ ثَمِينَةٌ مِنْ قِلَادَةٍ كَانَتْ فِي عُنُقِ صَاحِبَتِهَا الْعَظِيمَةِ، وَبَقِيَتْ مَطْمُورَةً فِي الْأَرْضِ بَيْنَ الْحَصَى وَالتُّرَابِ زَمَنًا طَوِيلًا، إِلَى أَنْ عَنَرَ عَلَيْهَا جَوْهَرِيٌّ كَانَ سَائِرًا فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَذَهَبَ بِهَا إِلَى الْمَلِكِ وَبَاعَهُ بِأَيَّاهَا، فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِوَضْعِهَا فِي أَظْهَرِ مَكَانٍ مِنْ تَاجِهِ.

وَاتَّصَلَ بِحِصَاةٍ كَانَتْ تَرْفُدُ بِجَانِبِ هَذِهِ الْمَاسَةِ خَبْرٌ مَا أَدْرَكَتُهُ جَارَتُهَا الْمَاسَةُ مِنْ حَظِّ سَعِيدٍ، فَهَزَّهَا سُرُورُ الْأَمَلِ بِبُلُوغِ مَا بَلَغَتْهُ جَارَتُهَا السَّابِقَةُ، وَقَالَتْ لِأَوَّلِ عَابِرِ سَبِيلٍ رَأَتْهُ مُنْجِهَا نَحْوَ الْعَاصِمَةِ: «أَيُّهَا الْمَوَاطِنُ الْعَزِيزُ! أَرْجُوكَ أَنْ تَمُدَّ يَدَكَ وَتَلْتَقِطَنِي، وَتَحْمِلَنِي مَعَكَ إِلَى الْمَدِينَةِ؛ لِأَنِّي سَتَمْتُ طُولَ الرُّقَادِ هُنَا فِي أَحْضَانِ الْوَحْلِ وَالتُّرَابِ، فَقَدْ كَانَتْ تَرْفُدُ فِي جَوَارِي حِصَاةٍ مِثْلِي، بَلْ أَصْغَرُ مِنِّي حَجْمًا، وَوَقَعَ عَلَيْهَا نَظْرٌ فَاضِلٌ مِثْلِكَ، فَالْتَقِطْهَا وَحْمَلْهَا إِلَى قَصْرِ الْمَلِكِ حَيْثُ نَالَتْ حُظُوَّةَ (مَنْزِلَةً) فِي عَيْنِيهِ، فَبَلَغَتْ أَعْلَى مَرَاتِبِ الْعِزِّ وَالْجَاهِ وَالسُّوْدِدِ، أَرْجُوكَ يَا سَيِّدِي، وَأَسْتَحْلِفُكَ بِكُلِّ عَزِيزٍ لَدَيْكَ، أَنْ تُسَاعِدَنِي عَلَى الْوُصُولِ إِلَى جَلَالَةِ الْمَلِكِ؛ لِأَنِّي وَاثِقَةٌ مِنْ أَنَّي سَأُنَالُ حُظُوَّةَ فِي عَيْنِيهِ كَمَا نَالَتْ تِلْكَ الْحَجْرَةَ الصَّغِيرَةَ الَّتِي كَانَتْ جَارَتِي.»

فَالْتَقِطَهَا الرَّجُلُ شَفَقَةً عَلَيْهَا، وَوَضَعَهَا فِي جَيْبِهِ إِلَى أَنْ بَلَغَ بِهَا الْمَدِينَةَ، وَكَانَتْ كُلُّ الْوَقْتِ تُعَلُّ نَفْسَهَا بِحَلَاوَةِ الْأَمَلِ بِقُرْبِ بُلُوغِهَا مَنْزِلَةَ صَدِيقَتِهَا الْقَدِيمَةِ فِي تَاجِ الْمَلِكِ، وَلَكِنَّ الَّذِي وَقَعَ كَانَ غَيْرَ مَا تَوَقَّعَتْ؛ لِأَنَّ الَّذِي حَمَلَهَا أَلْقَى بِهَا إِلَى حَيْثُ بَقِيَتْ إِلَى أَنْ وُضِعَتْ فِي الْمَوْضِعِ اللَّائِقِ بِهَا فِي رِصْفِ الطَّرِيقِ.